المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية
المجلد الثامن - العدد الثالث - 1399 - 1979

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الدين شكير

العراق في تاريخ هيرودوت

تقديم وترجمة

سليم طه التكريتي

بغداد ـ الجمهورية العراقية

تمهيد :

يطلق الكتّاب الغربيون على هيرودوت لقب « اب التاريخ » وهم يقصدون بذلك ان هيرودوت كان اول من وضع كتابا احتوى على دراسة احداث تاريخية مهمة بصفة متسقة ومنتظمة .

ومع ان اطلاق لقب « ابي التاريخ » على هيرودوت ؛ فيه نوع من المبالغة والتحيز ، وذلك بالنظر لاكتشاف كثير من المدونات القديمة ، وعلى الاخص السومرية ، والاشورية ، والمصرية ، التي تسرد الكثير من الوقائع ، والحملات العسكرية ، بصفة دقيقة ومنسقة ، وتسبق عصر هيرودوت بقرون عدة ، مع ذلك فان تلقيب هيرودوت بابي التاريخ يتعلق ، كما نعتقد ؛ باهمية الحوادث التي دونها هذا المؤرخ في تاريخه الجامع الذي يسميه الغربيون بالتواريخ ، ونعني بهذه الحوادث في الدرجة الاولى بداية الصراع بين الشرق والغرب ، والذي تمثل في الحروب التي وقعت بين الفرس والاغريق خلال القرن الخامس قبل الميلاد . ذلك لان الفتوحات التي قام بها ملوك اشور ، وامتدت الى ساحل البحر الابيض المتوسط وفلسطين ومصر ، لم تكن قد تجاوزت هذا البحر ، وبلغت البر الاوربي ، مثلما كان عليه الامر بالنسبة لغزو الفرس بلاد اليونان .

فهذا الاصطدام المسلح لاول مرة في التاريخ بين الشرق والغرب ، وما تبعه من اندفاع الغرب لاول مرة ايضا ـ بقيادة الاسكندر المقدوني نحو الشرق ، وانتقامه من الفرس ، ومن كل الشعوب التي ارغمها حكام الفرس ، ومن كل الشعوب التي ارغمها حكام الفرس على خوض المعارك الى جانبهم ضد اليونان ، والمناطق الاخرى المحيطة بها في اوربا، ان هذا الاصطدام هو الذي جعل المؤرخين الاوربيين يضعون لتاريخ هيرودوت هذا قيمة اكثر مما يستحقها ، وهو الذي دفعهم الى تسمية هيرودوت بابي التاريخ .

ومع ان هيرودوت قد امتاز في تاريخه بالاسهاب في الوصف والدقة في سرد الحوادث ، واستطاع بذلك ان يلم باطراف الاحداث العظيمة التي شهدها الشرق والغرب معا ، خلال القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ؛ مع ذلك كله فانه لم يستطع ان يتحرر من ربقة المثولوجيا اليونانية وسيطرتها على تفكيره ، الى درجة انه حشر الكثير من الاساطير والخرافات والاشياء الموضوعة الاخرى ، ضمن تاريخه هذا .

وفضلا عن ذلك لاحظ كثير من المؤرخين الثقاة ان سرد هيرودوت للحوادث التي تضمنها تاريخه، ينطوي على الكثير من المبالغة والكذب ، بل ان المؤرخ الروماني « بلوطارخ » قد اتهم في حينه هيرودوت بالخبث والكذب ايضا .

وكان في مقدمة المؤرخين الذين انتقدوا هيرودوت ، ودللوا على تلفيقاته ، وسرقة اخبار

WWW.ATTAWEEL.COM

كثيرة اوردها في تاريخه ؛ من مؤرخين سبقوه او عاصروه دون ان يشير اليهم ، هو العالم الالماني « الفريد وايدمان » في بحث له نشره سنة ١٩٢٠ ، والعالم البريطاني « سايس » في كتابه الشهير المعنون « امبراطوريات الشرق القديم » الذي نشره سنة ١٨٩٠ ، وكذلك بحث العالم الالماني « هايدل » المنشور سنة ١٩٣٥(١) .

ويظهر ان الهدف الاول الذي دفع بهيرودوت الى كتابة تاريخه ؛ هو استنهاض اليونانيين ، وحثهم على التقدم والفتح ، وذلك بما قدمه لهم من مساعد وصور عن حياة الامم الاخرى التي زارها في اسفاره ؛ وعلى الاخص بلدان الشرق ، فكان هيرودوت كان ، بما اورده عن هذه الشعوب، يحاول تحريض قومه اليونانيين على التوجه الى بلدان الشرق والاستيلاء عليها ، وهذا ما حققه الاسكندر المقدوني فعلا بعد هيرودوت بقرن من الزمان .

مولد هيرودوت ونشأته

اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي ولد فيها هيرودوت فقال البعض منهم انه ولد سنة ٤٨٩ قبل الميلاد . لكن الاكثرية يتفقون على ان ولادته كانت في سنة ٤٨٤ ق. م .

يتألف اسم « هيرودوت » او هيرودوتس من اسمين . اولهما هو « هيرا » وهي المعبودة الشهيرة لدى الاغريق . والثاني هو « دوت » أو « دوتا » بمعنى اعطى او اهدى وعلى هذا يكون اسم هيرودوت بالمعنى الاغريقي هو « هدية هيرا » .

وقد ولد هيرودوت في مدينة هاليكارناسوس التي تعرف الآن في تركيا باسم « بدرون » ، الواقعة جنوبي ساحل آسيا الصغرى الغربي . وكان هذا الساحل منذ زمن طويل يؤلف القسم الشرقي من العالم اليوناني ؛ اذ استوطن اليونانيون ذلك الساحل منذ عهود سحيقة ، وامتزجوا بالاقوام والقبائل التي كانت تقطنه ، او تفد عليه من الشمال والشرق او الجنوب .

كانت اسرة هيرودوت من الاسر الغنية المعروفة بنشاطها الواسع في الحياة السياسية التي كانت تستهدف التحرر من ظلم الحاكمين الطغاة .

وقد كان خاله « بانياس » من الشعراء المجيدين ، ومن زعماء الحركة الوطنية التي اججت نيران الثورة في مدينة هاليكارناسوس ضد عميل الفرس الطاغية « ليجداميس » .

ولقد نشأ هيرودوت منذ حداثته محبا للمعرفة والثقافة ، منكبا على الادب والشعر بصفة خاصة .

كان ساحل اسيا الصغرى الغربي ، في الوقت الذي ابصر فيه هيرودوت النور بمدينة هاليكارناسوس ، مستعمرة فارسية خالصة . اذ كان الفرس قد استولوا عليه ، بعد ان تحرروا من الماديين واستولوا على بلادهم .

كانت السلالة الفارسية الحاكمة آنذاك هي السلالة الاخمينية التي امتد حكمها من سنة ٥٥٠ الى سنة ٣٣١ قبل الميلاد . وكان زعيم هذه السلالة ومؤسسها ، هو « كورش » الذي ثار على حكم الماديين في شمالي ايران ، فانتصر عليهم ، وخلع ملكهم « استياكس » ، واخضع بلاد مادي لحكمه ، ثم اتجه بعد ذلك الى مملكة ليديا التي تقوم في ساحل اسيا الصغرى ، فاستولى عليها وضمها الى بلاده سنة ٥٤٧ ق. م ، وبذلك اصبح اليونانيون الذين يقطنون بلاد ليديا من رعايا الامبراطورية الفارسية ، وكان هيرودوت نفسه رعويا فارسيا لانه ولد في ارض خاضعة للفرس .

ثورة مدينة ملطية ضد الفرس

سبق ميلاد هيرودوت قيام اليونانيين في الساحل الغربي لاسيا الصغرى ، بثورة عارمة سنة ٥٠٠ قبل الميلاد ضد الاحتلال الفارسي . وكانت مدينة « ملطية » هي التي تزعمت تلك الثورة التي بقيت محتدمة حتى سنة ٤٩٦ قبل الميلاد ، حين استطاع الفرس اخماد تلك الثورة ، وانزال اشنع العقوبات باهالي مدينة « ملطية » .

ولما كانت « اثينا » قد ساندت الثورة في ملطية وبقية اجزاء الساحل ؛ فقد صمم داريا الاول (٥٢١ — ٤٨٦ ق. م) على ان يغزو اثينا ، ويعاقبها جزاء مساندتها للثورة ، ولذلك جهز حملة عسكرية كبيرة ، عبرت بحر « ايجه » ونزلت الى سهل « مراثون » في اليونان ، واشتبكت في قتال ضار مع اليونانيين الذين صمدوا في الدفاع عن اثينا ، واستطاعوا دحر القوات الفارسية ، واعادتها محطمة مهزومة الى البر الاسيوي ، وبذلك باءت بالفشل كاول محاولة للشرق في الوصول حربا الى الغرب .

---

(١) انظر كتاب « هيرودوت يتحدث عن مصر » للدكتورين محمد حلمي خفاجة واحمد بدوي اللذين ترجما كل ما اورده هيرودوت في كتابه عن مصر . وقد صدر هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٩٦٦ .

حملة فارسية جديدة على اليونان

وعندما تولى احشويرش الاول الحكم في فارس بعد والده دارا ، قرر ان لا يتراجع عن الهدف الذي استهدفه ابوه ، وهو عبور البحر ، والاندفاع في اوربا . فاخذ منذ اليوم الاول الذي تسلم فيه زمام السلطة يعد العدة لحملة فارسية كبرى ضد اليونان ، استمر الاعداد لها عشر سنوات ، وجند لها حتى اليونانيين الذين يقطنون ساحل آسيا الصغرى . وكانت مدينة هاليكارناسوس مسقط رأس هيرودوت ، من بين المدن التي انضمت الى الحملة الفارسية ، اذ ضمت « ارتمسيا » ملكة هاليكارناسوس اسطولها الى الاسطول الفارسي وتولت قيادته بنفسها .

غير ان مصير حملة احشويرش كان اسوا من مصير حملة ابيه « دارا » . فلقد تحطم الاسطول الفارسي في معركة « سلاميس » البحرية ، وتفرق شذر مذر ، وعاد اسطول هاليكارناسوس محطما مهيض الجناح . وكان هيرودوت ، وهو في الخامسة من عمره ، من بين من شهدوا عودة الاسطول المنكسر .

بقي الفرس بحكمون هاليكارناسوس عن طريق عملائهم من خونة المدينة . وقد عانى شعب المدينة الامرين على يد الطاغية « ليجداميس » حفيد « ارتمسيا » .

كان هيرودوت في ذلك الوقت قد تجاوز العشرين من عمره ، وقد امتلأت روحه بالنقمة على المحتلين وعملائهم ، وتعاظمت غيرته على بلدته ، فتفجرت غيرته وحماسته تلك في ثورة وطنية قادها ضد العميل « ليجداميس » . غير ان هذا استطاع اخماد الثورة بما تلقاه من مساعدات من سادته الفرس ، فلم يكن امام هيرودوت آنذاك من مفر سوى النجاة بنفسه ، والهرب من هاليكارناسوس ، والالتجاء الى جزيرة «ساموس» التي تقع في ذات الساحل ، حيث تلقاه اهلها بحسن الترحاب والوفادة .

اسفار هيرودوت في اسيا واوربا وافريقيا

وفي جزيرة ساموس هذه شرع هيرودوت يفكر تفكيرا جديا في وضع كتاب يسجل فيه تاريخ الحروب الفارسية اليونانية ، ويشيد فيه بالدور العظيم الذي لعبته اثينا في تلك الحروب . ولهذا الغرض ، بدأ هيرودوت رحلاته واسفاره الى بلدان الشرق والغرب ، طلبا للاخبار ، وللحصول على المعلومات التي تخص تلك الحروب .

وعلى هذا الاساس انتقل من جزيرة ساموس الى البحر الاسود ، ومنه الى بحر ايجه ، ثم عبر اوربا الى تراقيا حتى وصل شمالي نهر الدانوب ، وتلك هي المناطق التي وصلت اليها الجيوش الفارسية في الغرب .

وبعد ان حصل على بعض ما اراد الوقوف عليه من اخبار الحرب ، وانباء الاقوام التي اشتركت فيها ، عاد من هناك متجها نحو الشرق ، فاجتاز سوريا الى العراق ، ومنه غادر الى بلاد ايران حتى وصل الى الهند .

واذ بلغ هذا الجزء من آسيا ، انقلب الى القارة الافريقية فاتجه نحو الشمال الافريقي حتى وصل الى مدينة « قورنائية »(٢) في ليبيا ، ليعود منها الى مصر ويجوب اراضيها حتى يصل الى مدينة اسوان .

وكان هيرودوت في كل رحلاته هذه التي استهدف منها في الدرجة الاولى جمع المواد الاساسية لتاريخه الكبير عن الحروب الفارسية اليونانية ، يسجل الكثير من مشاهداته واطلاعاته الشخصية عن البلاد التي كان يزورها ، فيسهب في وصف اوضاع سكانها ، والتعرف على عاداتهم واحوال معيشتهم ، ويتحدث عن مدنهم وفنونهم ووسائل حضارتهم . وقد كانت تلك الاسفار من السعة الى درجة انها استغرقت سبع عشرة سنة كاملة ، كان هيرودوت خلالها دائب الحركة في تقصي مختلف الاخبار والاحاديث عن المعارك الحربية واوضاع البلاد التي شاهدها . ولذلك امتزجت معلوماته التي دونها في تاريخه الكبير بالمزيد من الاساطير والتخيلات التي يصعب على الناس تصديقها ولا سيما في مثل هذه الايام .

الرحلة الاولى لهيرودوت

بدأ هيرودوت رحلته الاولى من جزيرة ساموس سنة ٤٦٠ قبل الميلاد . وقد امتدت هذه الرحلة ثلاث سنوات ، زار خلالها آسيا الصغرى برمتها ، وفي مقدمتها مدينة « ساردس » عاصمة ليديا .

ومن ساردس انحدر هيرودوت جنوبا الى مدينة صور ، ثم غادرها الى مدينة غزة ، ومنها عبر الى شمالي مصر . وبعد ان تجول في منطقة الدلتا المصرية اتجه الى شمال افريقيا فدخل ليبيا

---

(٢) هي منطقة « برقة » في ليبيا ويقال ان موقعها في مدينة « تسخات » الحالية .

ووقف عند حدود مدينة قورنائية كما اسلفنا ومن هناك كر راجعا الى بلاده اليونان .

الرحلة الثانية

اما رحلته الثانيـة التي استغرقت سنتين ، وذلك خلال الفترة ما بين سنة ٤٥٧ ـ ٤٥٥ قبـل الميلاد ، فقـد خصصها لزيارة مضيقي الدردنيـل والبـسفور ، وشواطىء البحر الاسـود والمناطق المحيطة به .

تجدد الثورة في هاليكارناسوس

في سنة ٤٥٤ قبـل الميلاد عاودت مدينـة هاليكارناسوس الثورة مرة اخرى ضد الطاغيـة لجدامیس ، واستطاعت ـ بما تلقته من مساندة اثينا لها ـ ان تخلع ذلك الطاغية ، وان تعتنق فكرة الدمقراطية التي كانت اثينا تبشر بها آنذاك ، وان تنضم ـ فيما بعد ـ الى حلف « ديلوس » الذي كان يضم الدويلات اليونانية حديثة التحـرر ، والذي كانت تتزعمه اثينا ذاتها .

وما ان سمع هيرودوت بهذه التطورات التي حدثت في بلدته حتى سارع بالعودة اليها ، لكـن مستقره فيها لم يدم طويلا ، وذلك بسبب الخلاف الذي نشب بينه وبين حكام المدينـة . ذلك ان هيرودوت كان شديد التحمس لافكار اثينا ، قوي الدفاع عن سياستها الدكتاتورية ضـد الدويلات التي خضعت لها ، والتي كانت تحقـد عليهـا ، وتتحين الفرص للافلات من قبضتها . وهكـذا هجر هيرودوت بلدته هاليكارناسوس مرة اخرى ، وعاد الى اثينا سنة ٤٥٠ قبل الميلاد ، ليستقبله شعبها استقبال الابطال المناضلين في سبيل الحرية والدمقراطية .

ولقد اندمج هيرودوت اثناء وجوده في اثينا اندماجا شـديدا في الوسط الاثيني ومجتمـع المفكرين فيه ، فاصبح صديقـا حميما للشاعـر المسرحي الشهير سوفوكليس .

رحلة هيرودوت الجديدة الى مصر

تهيأت لهيرودوت فرصـة اخرى للسفـر والتجوال في سنة ٤٤٧ ق. م . ففي هذه السنة وقعت معاهدة الصلح بين فارس واليونان ، واذ ذاك اهتبل هيرودوت هذه الفرصة ليعاود زيارته لمصر ، وليمضي وقتـا طويلا متنقلا بين مدنهـا وارياضها .

وبعد ان استغرقت تلك الرحلة مدة سنتين ، عاد هيرودوت الى اثينا مرة اخرى . كان في ذلك الوقت قد انجز قسما كبيرا من كتابة تاريخه . ولذلك اخذ يتلو فصولا منه على الجمهور الاثيني الذي ما لبث بعد شيء من البرود وعدم المبالاة ، ان اقبل على سماع قراءات هيرودوت ، والاعجاب بها ايما اعجاب . وكان من نتائج ذلك ان كرمتـه حكومة اثينا ، فاصدر مجلسها مرسـوما يقضي بمنحه جائزة مالية تقديرا لما اسهم به في الفكـر الانساني ، وكانت تلك الجائزة تبلغ عشرة طالينات فضية (الطالين او انتالنت Talent مقـاس وزن قديم يعادل وزنة اي خمسـة وعشـرون كيلوغراما . وبالنظر لاسعار الفضة في هذه الايام فان الطالينات العشرة من الفضة يبلغ سعرها اكثر من عشرة الاف دينار عراقي) .

توطدت منزلـة هيرودوت لدى الاثينيين ، وتعاظمت كثيرا بسبب الصداقـة الوطيدة التي نشأت بينه وبين المفكر والمشرع الدمقراطي الشهير بركليس الذي استفاد منه هيرودوت ، الشيء الكثير عن فلسفة الحكم واساليبه .

في سنة ٤٤٣ قبل الميلاد وجه بركليس هذا نداء الى دويلات المدن اليونانيـة ، ان تشترك في تجريد حملة عسكرية لاحتلال جنوبي ايطاليـا ، واقامة مستعمرة يونانية فيها .

ولقد نفي هذا المشروع حماسة منقطعة النظير من لدن هيرودوت الذي اشترك نفسـه في تلك الحملة الى جنوبي ايطاليا ، حيث اقيمت مستعمرة « ثورئي » فيها . ولقد امضى هيرودوت في تلك المستعمرة مدة ثلاث عشرة سنة كان خلالها قـد توقف تماما عن الكتابة واكمال تاريخه .

حلف يوناني تتزعمه اثينا

برزت في سنة ٤٣٢ قبل الميـلاد ، تطورات سياسية خطيرة في بلاد اليونان . فلقـد انشأت اثينا حلفا تزعمته واستغلته لبسط نفـوذها ، ولانشاء امبراطورية بحريـة لها ، وذلك في نفس الوقت الذي كانت فيه اسبارطة ـ وهي اقوى الدويلات من الناحية العسكرية ـ تتطلع لان تصبح صاحبة النفوذ الاول في اليونان .

كان من جراء ذلك ان انقسم اليونانيون الى معسكرين متناحرين احدهما يقف الى جانب اثينا والاخر يساند اسبارطة . وما فتىء التنافس بين المعسكرين ان تفاقم ، وتحول الى حالـة حرب ، حيث سارع بركليس باعلان الحرب على اسبارطة

وحلفائها ، وذلك في سنة ٤٢١ قبل الميلاد ، واذ ذاك وقعت الحرب التي عرفت باسم حرب البلوبونيز .

ومع ان الحرب قد استمرت زهاء السنة دون نتيجة حاسمة ، الا ان الكارثة حلت باثينا بعد تلك الحرب مباشرة ؛ حيث داهمها الطاعون سنة اربعمائة وثلاثين قبل الميلاد ؛ فاهلك المئات من سكانها وقضى على مواردها ، ودفع بحلفائها الى الانفصال عنها .

وعندما تناهت هذه الانباء الى مسامع هيرودوت ؛ وهو في مستعمرة ثوري ، لم يشأ الا العودة الى اثينا ليجدها خاوية على عروشها ، وقد اختطف الموت الالوف من اهلها وعلى راسهم الحكيم بركليس .

وفي اثينا هذه عكف هيرودوت على اتمام كتابة تاريخه ، الذي تخلى عنه مدة ثلاث عشرة سنة . وشاء القدر ان يخترم الطاعون حياة هيرودوت نفسه بعد ان اكمل تاريخه وذلك في سنة ٤٢٧ قبل الميلاد(٢) .

تاريخ هيرودوت

يتالف تاريخ هيرودوت العام (ويعرف عادة باسم التواريخ) من تسعة كتب او فصول بالاحرى ويحمل كل كتاب اسم واحدة من ربات الشعر والموسيقى لدى الاغريق . فالكتاب الاول يدعى « كليو » ، والثاني « يونوربى » ، والثالث « تاليا » وسمي الرابع باسم « ملبومينى » ، والخامس « تربيخور » ، والسادس « ايراتو » وعنوان الكتاب السابع « بولمنيا » ، والثامن « اورانيا » ، والتاسع « كاليوبي » .

الحرب بين فارس وليديا

يتحدث هيرودوت في الكتاب الاول من تاريخه عن مملكة « ليديا » التي كانت تمتد على ساحل آسيا الصغرى الغربي ، والتي استطاعت ان تبسط نفوذها على كل دويلات المدن اليونانية في ذلك الساحل ، وان تجعل منها مملكة موحدة وعلى الاخص في عهد ملكها « قارون » الذي كان يعد ، في ذلك الوقت ، اغنى رجل في العالم .

وفي الوقت الذي تعاظمت فيه قوة « قارون » ووضعت خزائن الارض بين يديه ، كان كورش زعيم الاخمينيين قد تمرد على اسياده الماذيين ، واحتل بلادهم ، وراح يتجه نحو الغرب اي الى مملكة ليديا هذه ، الامر الذي دفع بقارون الى التحالف مع الدويلات اليونانية القوية للوقوف بوجه الزحف الفارسي ؛ وللانقضاض على مقاطعة كبادوكيا التي سبق للفرس الاستيلاء عليها .

وفي كبادوكيا هذه اصطدم قارون بكورش فتضعضعت قوات قارون ، وارتد بها الى عاصمته ساردیس لاعادة تنظيمها واعدادها للحرب ؛ لكن كورش فاجاه بهجوم عاصف سقطت على اثره ساردیس بايدي الفرس ؛ ووقع قارون نفسه اسيرا بيد كورش ؛وبذلك اصبحت اسيا الصغرى او العالم اليوناني الشرقي ، يخضع برمته لحكم الفرس .

واذ انتهى كورش من اخضاع ليديا ، وضمها الى ممتلكاته ، عاد الى بلاده ليعد حملة كبرى ضد بابل ، فيهاجمها ويستولي عليها ؛وبذلك اصبحت ارض العراق واحدة من مستعمراته الكثيرة .

ولم يكتف كورش بهذا النصر ؛ فتدفعه نشوة الانتصار والغرور الى مهاجمة شعب « الماساجيتاي » الذي كان يسكن حوالي بحر قزوين ، فتحل الهزيمة المنكرة بكورش ، ويلقى مصرعه هو في تلك الحرب .

وصف مصر في الكتاب الثاني من تاريخ هيرودوت

ونقد كرس هيرودوت الكتاب الثاني من مؤلفه لوصف مصر واوضاعها وحضارتها وذلك اعتمادا على مشاهداته الشخصية لها خلال الرحلتين اللتين قام بهما الى بلاد النيل في سنتي ٤٦٠ و ٤٤٧ ق. م. ، واللتين المعنا اليهما قبلا .

وفي هذا الكتاب يسرد هيرودوت تفاصيل الحملة الكبيرة التي وجهها قمبيز بن كورش لاحتلال بلاد مصر ،ونجاحه في تلك الحملة نجاحا كبيرا ،ثم يسهب هيرودوت في وصف الاوضاع السارية في مصر في ذلك العهد ، ويأتي على ذكر احوال اهلها وعوائدهم ومبتدعاتهم وظروف معيشتهم بمنتهى التفصيل .

الغزو الفارسي لبلاد مصر

وفي الكتاب الثالث يواصل هيرودوت حديثه عن الغزو الفارسي لبلاد مصر ، كما يصف الحملة التي اعدها قمبيز لاحتلال الحبشة . وقد بعث

---

(٢) ذكر بعض المؤرخين ان هيرودوت مات قبل ان يتم تدوين تاريخه .

فميز بتلك الحملة الى الحبشة(1) من الاراضي المصرية ، غير انه لم يوفق فيها التوفيق الذي كان يتوقعه ، ولذلك اضطر الى التخلي عن هذا المشروع ، والعودة بقواته الى ممفيس عاصمة مصر .

فتوحات دارا الاول

اما الكتاب الرابع فقد خصصه هيرودوت للتحدث عن الفتوحات الواسعة التي قام بها دارا الاول ، ملك الاخمينيين ، في شمالي بحر قزوين ، وتوغله في بلاد السكيثيين (الروسيا) ، والتوجه من الاناضول الى اوربا بعبور مضيقي الدردنيل والبسفور ، والتوغل في منطقة تراقيا ، والوصول الى نهر الدانوب .

كذلك يتحدث هيرودوت في هذا الكتاب ايضا عن الحملة التي نظمها الفرس لاحتلال ليبيا من الاراضي المصرية ، ووصول القوات الفارسية الى مدينة قورنائية التي استطاعت ان تصمد بوجه الفرس ، وان تمزق القوات الفارسية التي كانت تهاجمها ، مما دفع بالملك دارا الى ان يصدر اوامره بضرورة عودة الحملة الى مصر بعد ان هلكت اعداد كبيرة من افرادها في مهاجمة قورنائية .

الثورة على الفرس في الساحل الايوني

ويكرر هيرودوت في الكتاب الخامس من مؤلفه ، الحديث عن فتوحات دارا في اوربا ، وعلى الاخص في منطقة تراقيا ، اذ استطاعت القوات الفارسية التي عبرت المضايق ، ان تحتل هذه المنطقة برمتها ، واخضاع جميع الاقوام والقبائل التي كانت تقطنها للحكم الفارسي . وكان من نتائج هذا الانتصار ان وضع القائد الفارسي «ميغابازوس» خطة لاحتلال مقدونيا ، فبعث الى اهلها اول الامر بوفد للتفاوض معهم على الاستسلام . ولكن ما ان فتك المقدونيون باعضاء ذلك الوفد ، حتى قاد ميغابازوس حملة كبيرة ضد المقدونيين ، فبدأ باحتلال المدن اليونانية الواقعة حول مضيقي الدردنيل والبسفور ، في الوقت الذي راح فيه الاسطول الفارسي يعمل على اخضاع الجزر ايونانية .

وفي هذا الكتاب ذاته يتحدث هيرودوت عن الثورة المضادة للفرس في الساحل الايوني ، وبتحريض من اهالي جزيرة ناكسوس . فما ان قامت الثورة حتى توجه الاسطول الفارسي الى جزيرة ناكسوس فحاصرها مدة اربعة اشهر دون ان يستطيع الاستيلاء عليها .

وقد اسهب هيرودوت في هذا الكتاب ايضا ، في ذكر المعارك البحرية بين الايونيين والفرس ، ومحاصرة الفرس لمدينة ملطية ، واستيلائهم عليها سنة ٤٩٤ قبل الميلاد . وكانت تلك الحروب اولى بوادر الحروب الواسعة التي وقعت فيما بعد بين الفرس والاغريق .

والامر الذي تجدر الاشارة اليه بالنسبة الى تاريخ هيرودوت هذا ، ان الكتب او الفصول الستة منه ، تعتبر كلها بمثابة مقدمة للحرب الفارسية اليونانية . وكانت هذه الحرب هي الموضوع الرئيس الذي استأثر بكل تفكير هيرودوت ، والباعث الاول لتدوين تاريخه هذا .

ولذلك وجدناه في الكتاب السابع من تاريخه، يسهب في وصف الحرب الفارسية اليونانية ، والهزيمة النكراء التي لحقت بالفرس في سهل « ماراثون » عند اثينا ، وما اعقب ذلك من تصميم دارا على الانتقام من اثينا بتجريده حملة كبيرة استغرق الاعداد لها مدة تسع سنوات في عهدي دارا وولده اخشويرش . ذلك ان اخشويرش الاول ، انهمك اثناء تلك المدة ، في شق الطرق والقنوات ، وانشاء مراكز التموين وترسانات السلاح ، بالاضافة الى عقد سلسلة من المحالفات العسكرية مع دويلات المدن اليونانية المعادية لاثينا، من امثال تساليا ، ولوكريا ، ومالیا ، وماجنسيا وغيرها ، واشراكها في المعركة ضد اثينا ، وما رافق ذلك من تطور اذ انضمت اسبارطة المنافسة لاثينا، اليها في مواجهة الغزو الفارسي .

وكسابقه كرس هيرودوت الكتاب الثامن للحديث عن ذات المعارك بين الفرس واليونانيين ، وعن الهزيمة التي لحقت بالفرس في معركة « ترموبيلي » البحرية التي استطاع فيها الاسطول اليوناني ان يدحر الاسطول الفارسي ويمزقه وان يلحق به هزيمة شنعاء .

كذلك تضمن هذا الكتاب وصفا رائعا لمعركة « سلاميس » البحرية بين الفرس واليونانيين ، والحيلة التي لجأ اليها « تمستوكليس » زعيم اثينا لاشراك الاسبارطيين في محاربة الفرس ، عندما وجد اسبارطة مترددة اول الامر في دخول المعركة .

وكانت نتيجة معركة سلاميس ان انهزم

(1) الواضح ان ما ذكره هيرودوت عن الحبشة كان يقصد به بلاد النوبة ليس الا .

الفرس ، وان ارتد احشويرش الاول بجر اذيال الهزيمة الى مدينة ساردس في آسيا الصغرى .

اما الكتاب التاسع والاخير فقد تضمن الاسهاب في وصف آخر المعارك التي وقعت بين الفرس واليونانيين . فقد كان « ماردونيوس » قائد احشويرش يحتفظ ـ بعد معركة سلاميس ـ بحوالي ثلثمائة الف من الجنود الفرس في اوربا ، ولذلك سعى ماردونيوس الى التحالف مع اثينا لكنها رفضت ذلك ، وعندئذ جمع جيشه وتوجه نحو اثينا في ربيع سنة ٤٧٩ ق. م لاحتلالها . وحين وصل الى مدينة « طيبة »(٥) نصحه اهلها بالبقاء فيها وعدم التعرض لاثينا ، لكنه رفض ذلك فسار الى اثينا ، حيث وجدها خالية من اهلها الذين فروا الى جزيرة سلاميس . لكن الاثينيين ما لبثوا ان جمعوا قواتهم ، والتحموا في معركة مع الفرس دارت الدائرة فيها على الفرس .

واتبع الاثينيون هذا النصر بنصر آخر في معركة بلاتيا التي قتل فيها القائد الفارسي ماردونيوس ، وبنصر ثالث في معركة ميكالي .

ويختم هيرودوت كتابه الاخير بالحديث عن القوات اليونانية التي استطاعت بعد تلك المعارك الظافرة ان تطهر بلاد اليونان واوربا من الفرس ، وان تطرد ما تبقى من هؤلاء الفرس في مضيقي الدردنيل والبسفور .

ترجمات تاريخ هيرودوت

نشرت اول ترجمة لاتينية لتاريخ هيرودوت في اوائل سنة ١٤٥٠م . وقد ترجم قسم من تاريخ هيرودوت الى الانكليزية لاول مرة سنة ١٥٨٤م ثم ترجم كاملا على يد « لتلبوري » سنة ١٧٠٩م وكذلك اصدر « وليم بيلوي » ترجمة كاملة اخرى في سنة ١٧٩١ .

وقد اعتمدنا نحن على الترجمة التي وضعها « جورج برولنصون » وقام بمراجعتها « منول كروف » وتم طبعها ونشرها في نيويورك سنة ١٩٥٦ وكانت هذه الترجمة قد نشرت لاول مرة سنة ١٨٥٨م .

The History, By Heroduts, Translated By George.
Rowlanson
Newyork 1956

(٥) طيبة من مدن اليونان وربما سميت باسم طيبة عاصمة الفراعنة في مصر .

بابل في تاريخ هيرودوت

ورد ذكر بابل في الكتاب الاول من تاريخ هيرودوت ، وذلك اثناء الحديث عن فتوحات كورش ملك الاخمينيين الفرس .

ففي الوقت الذي استطاع فيه « هرباغوس » احد القادة الماذيين ان ينتزع السلطة من « استياغوس بن كي اخسار » ملك الماذيين ، ويبسط نفوذه على الاجزاء الشرقية من آسيا الصغرى ، يقول هيرودوت أن كورش « استطاع بشخصه ان يخضع المناطق العليا ، وان يقهر كل امة ، وان لا يدع واحدة منها تنجو من قبضته » .

« ولسوف امر مرورا سريعا بالقسم الاكبر من هذه الفتوحات ، واركز الاهتمام على الفتوحات التي سببت له اعظم المصاعب ، والتي تستحق الاشارة » .

« فبعد ان اخضع كورش كل بقية اجزاء القارة(٦) لسلطانه ، اعلن الحرب على الاشوريين(٧) » .

« تحتفظ بلاد آشور بعدد وفير من المدن الكبرى ، كانت من اشهرها واعظمها في هذا الوقت ، مدينة بابل التي انتقل اليها مقر الحكومة بعد سقوط نينوى » .

وفيما يلي وصف للموقع :

« تقوم المدينة في سهل فسيح ، وفي شكل مربع تماما يبلغ طول كل ضلع من اضلاعها مائة وعشرين فرسخا(٨) وعلى هذا يقدر محيطها الداخلي باربعمائة وثمانين فرسخا .

واذ كانت المدينة على مثل هذه المساحة ، فلم تكن هنالك مدينة اخرى تضارعها في اهميتها . فهي محاطة ، في الدرجة الاولى ، بخندق عريض عميق ممتلىء بالماء ، ومن خلفه ينتصب سور

(٦) يقصد بذلك قارة آسيا .

(٧) يقصد بالاشوريين هنا ، البابليين لانهم هم الذين كانوا يحكمون العراق في ذلك الوقت . فقد سبق للبابليين ان تحالفوا مع الماذيين وهاجموا مملكة اشور واسقطوها واحتلوا مدينة نينوى وخربوها سنة ٦١٢ قبل الميلاد .

(٨) الفرسخ مقاس طولي وهو عبارة عن مسيرة معتدلة لمدة ساعة اي حوالي ثلاثة اميال . والواقع ان بابل لم تكن على شكل مربع كما ذكر ذلك هيرودوت . فقد وضع نقاة المتقين مخططا لها مستطيل الشكل تقريبا اما محيطها فيقدر بحوالي ثمانية عشر كيلومترا .

يبلغ عرضه خمسين ذراعا ملكية(٩) وارتفاعه مئتي ذراع . والذراع الملكية تطول بثلاثة اصابع من الذراع الاعتيادية .

وهنا لن اهمل التحدث عن الطين الذي كان يصنع من التراب الذي يحفر من الخندق الكبير ، ولا الطريقة التي شيد بها السور . فحالما كان البابليون يحفرون الخندق ، كان التراب الذي يحصلون عليه من الحفر يصنع لبنا ، حتى اذا ما كمل عدد واف منه ، كانوا يشوونه في كور ، ومن ثم يشرعون بالبناء ، فيبدأون برصف حواشي الخندق بالآجر ، ومن ثم يمضون في بناء السور ذاته مستخدمين في ذلك القار الساخن لتقويته ، وفارشين طبقة من القصب المحبوك بين كل ثلاثين سافا من الآجر .

« وفي الاعلى وعلى امتداد حواني السور ، اقاموا ابنية تتالف كل واحدة منها من غرفة واحدة تقابلها غرفة اخرى ، وتاركين بينهما فراغا يكفي لمرور عربة تجرها اربعة جياد(١٠) .

« توجد في محيط السور مائة باب من البرنز لها اسكفات وعضادات برنزية . وكان القار الذي استعمل في البناء قد جيء به الى بابل من هيت(١١) حيث تتوفر كتل من القار هناك عند النهر .

« يقسم النهر الذي يجري في وسط المدينة الى قسمين . وهذا النهر هو نهر الفرات الواسع العميق ، وسريع الجريان ، ولذلك فقد اقيم عند زوايا السور ، وعلى ضفة من ضفاف النهر ، سياج مشيد بالاجر » .

« وتتالف معظم الدور من ثلاثة او اربعة طوابق . وتمتد كل الشوارع في خطوط مستقيمة ليس في ذلك التي توازي النهر حسب ، بل وتلك التي تتقاطع مع الشوارع التي تؤدي الى شاطىء النهر .

« وتنتهي هذه الشوارع المتقاطعة عند ضفة النهر بموابات واطئة مشيدة في السياج الذي يحاذي النهر ، وهي مصنوعة ـ مثل الابواب الكبيرة في السور الخارجي ـ من البرنز ، وتنفتح على النهر .

« يعد السور الخارجي اداة الدفاع من المدينة . ومع ذلك يوجد سور داخلي ثان اقل سمكا من الاول ، لكنه لا يختلف عنه في القوة الا قليلا(١٢) .

« ويقوم في وسط كل قسم من اقسام المدينة حصن . وفي احد الحصون ينتصب قصر الملوك ، يحيط به سور قوي وساحة واسعة(١٣) كما يقوم في حصن آخر ، المعبد المقدس لزحل(١٤) . وهو بناء مربع طول كل ضلع منه فرسخان ، وله ابواب من البرنز الصلب . وكان هذا المعبد قائما في ايامي .

« وفي وسط المعبد يقوم برج من بناء صلب يبلغ كل من طوله وعرضه فرسخا واحدا ، اقيم فوقه برج ثان ، وفوق ذلك برج ثالث . وهكذا حتى البرج الثامن(١٥) .

---

(٩) هذا هو السور الخارجي لمدينة بابل كما اظهر التنقيب فيها ذلك . وهو يتالف من ثلاثة جدران : الاول مشيد بالطين بعرض سبعة امتار ، والثاني ـ ويبعد عن الاول زهاء اثني عشر مترا ، سمكه (٧٫٨٠ مترا ، والثالث من الطابوق ايضا وسمكه ٢/٢٠ متر . والذراع او الزند يبلغ ٥٢٧ من المتر .

(١٠) هذه الغرف هي الابراج القائمة في السور الخارجي ويبلغ عرض كل برج ٨/٣٧ مترا وبين كل برج واخر مسافة مقدارها ٥٥/٥٠ مترا . اما الطريق فكان يتسع لمرور عربتين في وقت واحد لا عربة واحدة كما ذكر هيرودوت ذلك .

(١١) ذكرها هيرودوت باسمها الذي عرفت به لدى اليونان وهو ايس IS وقد عرفت في الزمن القديم باسم ايت IT وابدن IDT

(١٢) يتالف هذا السور ، من ثلاثة اقسام هي الشمالي ، والشرقي والجنوبي ، ويتالف من جدارين من اللبن احدهما يوازي الاخر ، وتفصل بينهما مسافة مقدارها سبعة امتار .

(١٣) هذه الحصون هي في الحقيقة قصور المدينة . فالسور الداخلي يفصل بين قصرين فخمين من قصور نبوخذنصر الثاني (الذي حكم في الفترة ما بين ٦٠٥ ـ ٥٦٢ ق. م.) . ويقع القصر الرئيس شمالي هذا السور مما يلي باب عشتار شمالا . اما الاخر الذي يقع جنوبي السور فيسمى بالقصر الجنوبي . وهناك قصر آخر هو القصر الصيفي يقع الى القصي الشمال من المدينة ، وعلى مقربة من السور الخارجي . ويبدو من المخططات التي رسمها المنقبون لهذه القصور ، ان القصر الجنوبي كان هو مقر البلاط ، في حين كان القصر الرئيس هو مسكن الملك .

(١٤) جوبتر بيلوس Jupiter Belus تسمية اغريقية لاله بابل الكبير « مردوخ » والواقع ان المعبد الرئيس في بابل هو معبد « ايساغيلا » ومعنى اسمه السومري « البيت الرفيع » وكان معدا لعبادة مردوخ كبير الالهة .

(١٥) هذا البرج الذي يصفه هيرودوت هنا هو الزقورة او الصرح المدرج المعروف باسم (اي ـ تمن ـ ان ـ كي) اي « بيت اساس السماء والارض » . ويقع الى الشمال من معبد ايساغيلا بقليل . وتتالف الزقورة من سور

ويكون الصعود الى القمة من الخارج ، عبر طريق يستدير حول كل الابراج . وحين يبلغ المرء منتصف الطريق في صعوده يجد مكانا للاستراحة فيه مقاعد يجلس عليها الناس حينا من الوقت وهم في طريقهم الى القمة .

وفي اعلى البرج معبد واسع . وفي داخل المعبد سرير من حجم غير معتاد غني بالزخارف ، والى جانبه منضدة من الذهب . ولا يوجد في هذا المكان اي تمثال من اي نوع كان(١٦) . كما ان احدا لا يسكن هذه الغرفة في الليالي سوى امراة محلية يقول الكلدانيون(١٧) كهنة هذا الاله قد اختارها بنفسه من بين كل نساء الارض .

كذلك يعلن هؤلاء الكهنة ــ لكنني من ناحيتي لا اثق بذلك ــ ان الاله يهبط بشخصه الى تلك الغرفة ، وينام على السرير .

وهذه القصة تشبه القصة التي رواها المصريون عما كان يحدث في مدينتهم « طيبة » ،

عظيم يحيط بساحة مربعة تقريبا (٤٥, × ٤٠٠ متر) بني في وسطها ، الى جانب الغرف والمرافق الاخرى ، الصرح او الزقورة التي كان يرقى اليها بثلاثة سلالم احدها في الوسط ، وسلمان جانبيان وللبناية مداخل عديدة من الخارج ، وقاعدة الزقورة مربعة الشكل (٩١ر٥٥ × ٩١ر٥٥ مترا) وكان ارتفاعها يبلغ ما بين واحد وتسعين واثنين وتسعين مترا .

وقد ذكر هيرودوت ان عدد طوابق الزقورة ثمانية ولكن الشيء الذي اتفق عليه المنقبون ، ان عدد طوابقها سبعة . ومن هؤلاء المنقب الفرنسي « انمري بارو » في كتابه « بلاد اشور : نينوى ــ بابل » الذي ترجمناه انا والاغ الدكتور عيسى سلمان والذي مجرى طبعه الآن

(١٦) المعروف عن المعبد الذي يعلو الزقورة انه قد اعد لهبوط الاله اليه من السماء عند نزوله الى الارض . ولذلك فليس من المقول خلوه من تمثال ، سيما وان كورش قد ابقى العبادة البابلية وتماثيلها على وضعها السابق . بل ذكر عنه انه حينما احتل مدينة بابل قصد تمثال الاله مردوخ وقبل يديه .

(١٧) لم يعرف حتى الآن بصفة ثابتة المصدر الاساسي لاطلاق كلمة « الكلدانيين » على سكان بابل . ولكن الشيء الثابت انه كانت في بابل قبائل تعرف باسم الكلدان ، وان هذه القبائل قد جاءت من الجزيرة العربية . ويبدو من كلام هيرودوت ان اصل التسمية « كلدان » قد جاءت من اليونانيين ، وان المقصود بهذه التسمية جنس ذلك الشعب وليس البلد الذي استوطنه . فكلمة « كلدبا » لا تطلق على الارض المعروفة ببلاد بابل ، بل على الشعب الذي سكن تلك البلاد .

حيث تمضي احدى النسوة الليل كله في معبد زحل الطيبي(١٨) .

وقد قيل في كل حالة ان هذه المراة كانت تعارض اي تماس مع الرجال . وهذه العادة شبيهة بعادة اهل « بتارا » في ليكيا(١٩) حيث تقوم الكاهنة التي تنطق بالوحي في ذلك الوقت الذي تكون منشغلة فيه ــ ولكن لا يوجد على الدوام وحي في « بتارا » ــ باغلاق المعبد كل ليلة .

وفي اسفل قسم من ذات المبنى معبد ثالث يقوم فيه تمثال « زحل » وكله مصنوع من الذهب(٢٠) . وتوجد امام التمثال منضدة ذهبية كبيرة ؛ وقد صنع العرش الذي يجلس عليه التمثال ، والقاعدة التي وضع العرش عليها ، من الذهب ايضا . ولقد قال لي الكلدانيون ان مجموع وزن الذهب كله يبلغ ثمانمائة طالين .

« ويوجد في خارج المعبد مذبحان : احدهما من ذهب صلب لا يحق ان يقدم عليه سوى الرضعاء من الاطفال . اما الثاني فانه مذبح مشاع لكنه من حجم كبير ؛ تضحى عنده الحيوانات ناضجة النمو . وعلى هذا المذبح ايضا يحرق الكلدانيون اللبان الذي يطرح بمقدار يبلغ وزنه الف الف طالين كل سنة ؛ وذلك في مهرجان الاله .

وفي عهد كورش كان في هذا المعبد ايضا تمثال

---

(١٨) يطلق هيرودوت على اسماء الالهة في بابل ومصر ذات التسمية اليونانية وهو اسم زحل الذي يقصد به « زيوس » معبود الاغريق الكبير . والمقصود به هنا « امون » في مدينة طيبة .

(١٩) بتارا Patara لعل المقصود بها مدينة البتراء في بلاد النبط جنوبي شرقي الاردن في منطقة وادي موسى وكانت هذه المنطقة في الاصل تعرف باسم مملكة ادم وعاصمتها مدينة « سلع » التي يعتقد بانها هي مدينة البتراء وقد استولى العرب الانباط على المملكة وطردوا الادوميين منها واستقروا فيها وشرعوا يبتدعون فنون الزخرفة والعمارة فيها . وقد ورد ذكر الانباط لاول مرة في المدونات الاشورية باعتبارهم من اعداء الملك اشور بنيبال سنة ٦٤٧ ق. م. وقد تحدث كل من المؤرخين ديودورس الصقلي وسترابو في تاريخهما بصفة مسهبة عن البتراء . وكان من اشهر الهة البتراء معبودين هما ذو الشرى ، واللات .

(٢٠) الذي يبدو من قول هيرودوت عن هذا المعبد لاول وهلة ، انه يؤلف احد طوابق الصرح المدرج او الزقورة . ولكن الظاهر ان المقصود به معبد منفصل ، وقد يكون هو معبد ايساغيلا ذاته ، الذي كان يضم تماثيل ذهبية للاله مردوخ . وكان احشويرش بن دارا الفارسي قد نهب هذه التماثيل ونقلها من بابل عند استيلاء الفرس عليها للمرة الثانية سنة ٤٨٦ ق. م .

رجل يبلغ ارتفاعه اثني عشر ذراعا ، وكله مصنوع من الذهب الصلب . انني لم ار هذا التمثال بنفسي ، لكنني اروي ما نقله الكلدانيون الي عنه .

لقد تآمر دارا بن هستاسب(٢١) لنقل هذا التمثال من مكانه ، لكن لم يكن له من القوة كيما يضع يديه عليه ، ومع ذلك فان اخشويرش بن دارا ، قد قتل الكاهن الذي منعه من نقل التمثال، ثم مضى به .

وما خلا الحلي التي اشرت اليها ، هناك قدر كبير من الهدايا الخاصة في هذا الحرم المقدس .

*

« حكم مدينة بابل هذه ، عدد كبير من الملوك شاركوا في تشييد اسوارها ، وتزيين معابدها ، مما سآتي على ذكره في تاريخي الذي وضعته لبلاد اشور(٢٢) .

فمن بين الملوك هؤلاء ملكتان اقدمهن سميراميس(٢٣) التي تولت العرش قبل الاميرة الثانية بخمسة اجيال فلقد شيدت بعض السدود التي تستحق المشاهدة في سهل بابل ، وذلك للسيطرة على النهر الذي كان حتى في ذلك الوقت يفيض فيغرق كل الاراضي التي حواليه .

اما الملكة الثانية والتي تدعى «نيتوكريس»(٢٤) فانها اميرة اكثر حكمة من سابقتها ، لانها لم تخلف وراءها كذكرى لتربعها على العرش ، الاعمال التي سآتي على وصفها الآن حسب ، بل انها كانت تراقب ايضا تعاظم قوة الماديين ، ومشروعاتهم المتواصلة ،اولئك الذين استولوا على عدد كبير من المدن ، من بينها مدينة نينوى(٢٥) .

واذ كانت تتوقع من الماديين ان يهاجموها ، فقد بذلت كل الجهود الممكنة لتعزيز الدفاع عن امبراطوريتها . فقبل كل شيء لما كان نهر الفرات الذي يمر عبر المدينة ، يجري قبلا في مجرى مستقيم نحو بابل ، فانها بواسطة الحفر التي اجرتها على مسافات منه ، جعلته يتلوى ، بحيث يرى ثلاث مرات امام احدى القرى في بلاد اشور والتي تدعى « اردريكا » (٢٦) .

والى هذا اليوم نجد الذين يذهبون من بحرنا الى بابل ، يعبرون النهر ثلاث مرات وفي ثلاثة ايام مختلفة في هذا المكان ذاته .

كذلك اقامت هذه الملكة سدا على امتداد كل جانب من جانبي نهر الفرات يشتهر بعرضه وارتفاعه ، كما حفرت حوضا لبحيرة في نقطة بعيدة عن بابل ومصافية للنهر(٢٧) وتغوص حتى تصل الى الماء ، وهي واسعة الى درجة ان محيطها يبلغ اربعمائة وعشرين فرسخا . اما التراب الذي استخرج من هذا الحوض ، فقد استعمل في اقامة السد على امتداد مجرى النهر .

وعندما انتهى من الحفر امرت الملكة بجلب الحجر ، فرصفت به كل حواشي الحوض .

واذا تم انجاز هذين العملين ، فغدا النهر منعرجا ، وتم حفر البحيرة ، اصبح جريان النهر اقل سرعة ، وذلك نتيجة وجود عدد من الانحناءات ، وبهذا اصبح الانتقال بالنهر دائريا ، بحيث يغدو من الضروري في نهاية الرحلة ، الاقتراب من البحيرة ، والقيام بدورة طويلة فيها .

كانت كل هذه الاعمال في ذلك الجانب من

---

(٢١) هو دارا الاول (دارياوش) الذي حكم مدة سبع وثلاثين سنة وذلك في الفترة من ٥٢١ الى ٤٨٦ قبل الميلاد .

(٢٢) يقصد بذلك الفصل او الكتاب الثالث من تاريخه الذي تحدث فيه عن ثورة بابل ضد الفرس ، والوسيلة التي لجا اليها دارا لاخماد تلك الثورة واحتلال بابل مجددا .

(٢٣) سميراميس هو الاسم الذي اطلقه اليونانيون على الملكة « سمورامات » زوجة الملك الاشوري « ادنيراري » الثالث (من ملوك الامبراطورية الاشورية الاولى الذي حكم في الفترة ٨١٠ ـ ٧٨٢ قبل الميلاد) . ولم تكن سميراميس هذه ملكة على بابل كما ذكر ذلك هيرودوت وان كان الاشوريون قد استولوا على بلاد بابل وحكموها خلال الفترة ٩٨٠ ـ ٧٢٢ ق. م .

(٢٤) لعل المقصود بها هنا هي (نقيا) زوجة سنحاريب ملك اشور (٧٠٤ ـ ٦٨١ ق. م) والسيدة الملك اسرحدون (٦٨٠ ـ ٦٦٩ ق. م) وقد نقشت صورتها على منحوتة برنزية محفوظة الآن في متحف اللوفر بباريس ويبدو ان هيرودوت يعتبر هذه الملكة ، وليس زوجها او ابنها ، هي المسؤولة عن الاعمال العمرانية التي جرت في بابل والتي كانت تخضع للحكم الاشوري انذاك .

(٢٥) استولى الماديون مع البابليين الذين تحالفوا معهم على مدينة نينوى وخربوها سنة ٦١٢ قبل الميلاد وبذلك وضعوا النهاية للامبراطورية الاشورية في العراق .

(٢٦) اردريكا Ardericca لستانوف مصدر هذا الاسم الذي اطلقه هيرودوت على هذه القرية . ويغلب على الظن ان المقصود بها هي مدينة « بورسيبا » وكانت في الاصل احدى ضواحي مدينة بابل في الناحية الجنوبية .

(٢٧) ربما كانت هذه الحكاية من بعض الخرافات التي سمعها هيرودوت وصدق بها واوردها في تاريخه ذلك لان التحريات التي اجريت في منطقة بابل لم تؤكد وجود مثل هذه البحيرة . وقد تكون مثل هذه البحيرة في السنوات التي يفيض فيها نهر الفرات فيطغى على كثير من الاراضي المنخفضة بجوار بابل او حتى داخلها .

مدينة بابل(٢٨) حيث توجد السبل والطرق التي تمتد الى داخل بلاد ماذي اكثر استقامة ؛ ولان هدف الملكة من انشائها هو الحيلولة دون تماس الماذيين بالبابليين ، وبذلك يظل هؤلاء في جهل من امرها .

وفي الوقت الذي استخدم فيه التراب الذي استخرج نتيجة الحفر ، لتعزيز الدفاع عن المدينة، انهمكت نيتوكريس في انجاز مشروع آخر يعد عملا اضافيا اذا ما قورن بالاعمال التي اشرنا اليها قبلا .

لقد كان النهر ، كما قلت ، يقسم المدينة الى قسمين مميزين . ففي عهد الملوك السابقين ، كان على المرء ان اراد عبور احد هذين القسمين الى الآخر ، ان يعبر النهر باحد القوارب ، وذلك امر متعب كما يبدو لي . وطبقا لذلك ففي الوقت الذي كانت فيه نيتوكريس تقوم بحفر البحيرة فكرت ان تحول هذه البحيرة للاستعمال الذي لابد وان يتغلب على هذه العقبة ، وبساعدها على ان تخلف لها اثرا آخر من اثار حكمها لبابل .

فلقد اصدرت اوامرها بصقل كتل هائلة من الحجارة ، وعندما تم اعداد هذه الحجارة ، وتم حفر الحوض ، حولت مياه نهر الفرات كلها الى تلك الحفرة ، وهكذا ما ان مر وقت امتلأ خلاله الحوض بالماء ، حتى غدى المجرى الطبيعي للنهر جافا .

وعلى هذا بدات العمل . فقامت اولا بتكسية النهر داخل المدينة بارصفة من الآجر ،كما وصفت بالآجر ايضا اماكن النزول التي تواجه ابواب النهر ، واختارت نفس شكل الآجر الذي استعمل في بناء سور المدينة ؛ وبعد ذلك استطاعت بالمواد التي تم اعدادها ان تنشيء عند وسط المدينة تقريبا ، جسرا من الحجر ربطت احجاره سوية بالحديد والرصاص(٢٩) .

ففي اثناء النهار كانت توضع منصات خشبية على امتداد الجسر من قنطرة الى اخرى ليعبر الناس النهر عليها . اما اذا جن الليل رفعت هذه المنصات من مكانها لمنع الناس من العبور من جانب الى آخر اثناء الظلام بقصد اقتراف اعمال السرقة .

وعندما ملأ النهر تلك الحفرة ، وكمل بناء الجسر ، عاد نهر الفرات الى مجراه القديم ثانية ، وبهذه الوسيلة تحول ذلك الحوض بغتة الى بحيرة، فغدا يلبي الغرض الذي انشيء من اجله ، وبمساعدة هذا الحوض انتفع الناس به بمثابة جسر .

كانت هذه الاميرة نفسها هي التي اعدت خطة شهيرة . لقد ارادت ان يبنى قبرها في الجزء العلوي من احدى البوابات الرئيسة للمدينة ، والتي ترتفع عاليا فوق رؤوس المارة . وقد حفرت على القبر هذه العبارة (اذا ما وجد بين خلفائي على عرش بابل من يريد الحصول على كنز ، فان عليه ان يفتح قبري هذا ، ويأخذ منه كل ما يختاره ، ولكن عليه ان لا يفعل ذلك الا اذا كان في حاجة حقا ، لان ذلك لن يكون في صالحه) .

بقي هذا القبر سليما لم يمسه احد الى ان تولى دارا عرش المملكة . لقد بدا له ان من المعيب له ان لا يستطيع استعمال احدى بوابات المدينة ، وان يظل ذلك المقدار من المال مهملا . واكثر من هذا ان يستحث همته فلا يستطيع الحصول عليه .

لم يستطع دارا استعمال البوابة . لانه لو مر خلالها لغدا جدث الميتة فوق رأسه . ولذلك اقدم على فتح القبر ، لكنه بدلا من الاموال لم يجد فيه سوى الجسد البالي ، وكتابة تقول « انك وان لم تشبع من المال الحرام ، ولا تأبه بالوسيلة التي تحصل بها عليه ، فانك لن تقدر ان تفتح جدث الميت » .

جرد كورش حملته ضد ابن هذه الاميرة الذي كان يحمل نفس اسم ابيه وهو لابينيتوس(٣٠) ملك الاشوريين .

---

(٢٨) يقصد بذلك الجانب الايسر من مدينة بابل . وكان هذا الجانب من القدم يمثل القسم الاعظم من المدينة الداخلية وعلى هذا حينما امتد البناء الى الجزء الغربي من المدينة اطلق على هذا الجزء اسم « المدينة الجديدة » .

(٢٩) عثر المنقبون على بقايا هذا الجسر الفخم داخل النهر وكان هذا الجسر يعد امتدادا لشارع الموكب من القسم الشرقي الى القسم الغربي من المدينة . والمعروف ان شارع الموكب يبدا على مقربة من معبد مردوخ . وكان الاسم القديم لهذا الشارع هو « اي ـ بيور ـ شابو » اي (لا يعبر الاعداء) .

(٣٠) لابينيتوس Labynetos المقصود به هو نبونيد الذي حكم في الفترة ٥٦٦ ـ ٥٣٩ قبل الميلاد . اما ابنه الذي قصده هيرودوت هنا ، فلم يكن يدعى نبونيد او لبنيتوس وانما كان يسمى « بيل شاحر » وكان ضعيفا وفاسدا ولذلك نفسخت امور الدولة في عهده وعم الفساد ، وتقم عليه رجال الدين لعدم اهتمامه بالامور الدينية الامر الذي سهل على كورش ملك الفرس الاخمينيين مهاجمة بابل والاستيلاء عليها ، ووضع النهاية الاخيرة للمملكة البابلية وكان لليهود اثرهم الواضح في تدمير بابل .

كان ذلك الملك العظيم(٢١) حين يمضي الى الحروب ،يتزود دوما بتجهيزات تم اعدادها بعناية في بلده ، وبماشية خاصة به . وكان يتزود ايضا بالماء من نهر خوسبس(٢٢) الذي ينبع من « سوسة » لاستعماله الخاص ، ذلك لان هذا هو الماء الذي كان ملوك فارس يتذوقونه .

وحيثما يسير يصحبه عدد من العربات ذوات العجلات الاربع التي تجرها البغال ، والتي تحمل مياه نهر خوسبس ، وقد تم اغلاؤه تمهيدا لاستعماله ، وخزن في فناطيس من الفضة تنقل معه من مكان الى آخر .

وصل كورش ، وهو في طريقه الى بابل ، الى نهر جنديس(٢٣) وهو نهر صغير ينبع من الجبال الميتانية(٢٤) ويجري عبر بلاد الدردنيين(٢٥) ومن ثم يصب مياهه في نهر دجلة .

وبعد ان يتلقى نهر دجلة مياه نهر جنديس يجرى على مقربة من مدينة اوفيس(٢٦) ثم يصب مياهه في بحر الارثريان(٢٧) .

---

(٢١) المقصود به كورش .

(٢٢) نهر خوسبس Choaspes المعتقد انه هو نهر كرخايا المعروف في ايران والذي يصب في نهر شط العرب وينبع هذا النهر من جنوبي بحر قزوين وكانت تقع عليه مدينة سوسة العاصمة القديمة للفرس الاخمينيين .

(٢٣) نهر جنديس Gyndis هو نهر ديالى الذي يتالف من نهرين احدهما آب شيروان والثاني آب حلوان او الوند. وينبع آب شيروان من الاراضي الايرانية ويلتقي مع حلوان شمالي ناحية السعدية (قزلرباط) بحوالي اربعة عشر كيلومترا ويسمى التقاؤهما بالمخلط ثم يصب جنوبي بغداد ويبلغ طوله من منبعه الى مصبه زهاء اربعمائة وخمسين كيلومترا .

(٢٤) الجبال الميتانية نسبة الى الشعب الميتاني الذي استوطن المنطقة الواقعة بين نهر دجلة ونهر الخابور وكان هذا الشعب من الشعوب القوية في الفترة ما بين الالف الثاني والالف الرابع قبل الميلاد .

(٢٥) الدردنيون Dardanians من الشعوب القديمة التي استوطنت في فجر التاريخ بعض المناطق القريبة من ايران والمتاخمة للعراق .

(٢٦) اوفيس Opis من المدن القديمة في العراق قيل عنها انها هي مدينة جوخي (كوثي وكوسا) التي تقع بين المدائن طيسفون وسلوقية على الجانب الشرقي من نهر دجلة قرب مصب نهر ديالى فيه .

(٢٧) بحر الارثريان Arthrœn او الارتيري اسم يطلق على البحر الاحمر عادة ولكن الذي قصده هيرودوت هنا هو الخليج العربي على وجه الدقة . ذلك لان نهر دجلة بعد التقائه بنهر الفرات في القرنة يكونان شط العرب الذي يصب في الخليج العربي .

حين بلغ كورش هذا النهر الذي لا يمكن عبوره الا بالقوارب(٢٨) ، خاض احد الجياد البيضاء المقدسة التي كانت تصحب مسيرته ، والممتلىء حماسة وشجاعة فائقتين ، في النهر وحاول ان يعبره بنفسه ، لكن لفه التيار وجرفه معه ثم اغرقه في اعماقه .

وقد استشاط كورش غضبا من عجرفة النهر ، فهدد بان يحطم قوته الى درجة انه يسهل في المستقبل حتى على النساء ان يعبرنه بيسر ، ومن دون ان تبتل ركبهن .

وطبقا لذلك اجل هجومه على بابل لبعض الوقت ، وقسم جيشه الى قسمين ، ووضع بالحبال علامات لمائة وثمانين قناة على كل من جانبي نهر جنديس تتفرع منه في كل الاتجاهات ، ثم اوعز الى جيشه بان يقوم باعمال الحفر ، بعض منه على هذا الجانب والبعض الاخر في الجانب الثاني من النهر ، وبذلك انجز تهديده بمعونة عدد كبير من الايدي العاملة ومن دون ان ينفق في ذلك فصل الصيف كله .

واذ انتقم كورش بهذه الصورة من نهر جنديس ، بان فرق مياهه في ثلثمائة وستين قناة، سار في مطلع فصل الربيع باتجاه بابل قدما .

البابليون يستعدون للدفاع

كان البابليون قد عسكروا خارج الاسوار ينتظرون مقدمه ، وقد جرت معركة على مسافة قريبة من المدينة دحر فيها البابليون على يد الملك فارتدوا الى داخل خطوط دفاعهم .

هنا اغلق البابليون عليهم الاسوار ، وخففوا من حصاره لهم ، بان خزنوا كميات من المؤن تكفي لعدة سنوات استعدادا للصمود بوجه هذا الهجوم . ذلك لانهم حين راوا كورش وقد اخذ يخضع الامم الواحدة بعد الاخرى ، ايقنوا بانه لن يتوقف ؛ وان دورهم سيأتي في النهاية .

اصبح كورش الآن في حيرة شديدة لان الوقت اخذ يمضي دون ان يحقق اي تقدم باتجاه ذلك المكان . ففي مثل هذه الحالة المحيرة اما ان يتقدم احدهم باقتراح ما اليه ، او ان يقدح هو زناد فكره في اعداد خطة ما يستطيع تنفيذها .

وضع قسما من جيشه عند نقطة يدخل النهر منها الى المدينة . كما وضع قوة اخرى خلف المكان الذي يخرج النهر من المدينة ، واصدر

---

(٢٨) المقصود به هنا هو نهر ديالى .

اوامره الى هذه القوات بان تتقدم في مجرى النهر حالما يصبح ماؤه ضحلا . اما هو نفسه فقد انسحب مع قسم من حاشيته غير المحاربين ، الى المكان الذي حفرت فيه « نقيا » حوضا للنهر ، ففعل ذات ما فعلته من قبل تماما ، اذ حول مجرى النهر ، بواسطة قناة ، الى داخل الحوض الذي كان آنذاك مستنقعا لتفيض فيه مياه النهر الى درجة يصبح فيها مستطاعا عبور المجرى الطبيعي للنهر مخاضة .

هنا تحرك الفرس الذين وضعوا لهذا الغرض عند ضفة النهر في بابل ، داخل النهر الذي انخفضت مياهه الآن والتي لم يتعد عمقها ركبة الرجل ، وبهذه الوسيلة تسللوا الى المدينة .

واذ تحقق للبابليين مما يوشك كورش ان يفعله ، او انهم لاحظوا الخطر الذي كان يتهددهم، فقد صمموا على ان لا يدعوا الفرس يدخلون المدينة ، وان يدمروهم كلية ، ولذلك سارعوا باغلاق كل بوابات الشوارع المطلة على النهر ، وارتقوا الاسوار على جانبي النهر ، وبذلك وضعوا العدو في مصيدة .

ولكن ــ وكما حدث فعلا ــ باغتهم الفرس ، فاستولوا على المدينة ، ونظرا لسمة المكان فان سكان الاقسام الوسطى من المدينة (كما اعلن المقيمون في بابل ذلك) لم يعرفوا ــ حتى بعد استيلاء الفرس على الاقسام الخارجية للمدينة ــ شيئا عما قد حدث ، واستمروا في احتفالهم ، وواصلوا الرقص والمرح ، الى ان علموا بان احتلال المدينة غدا حقيقة واضحة جدا . تلك هي الاحوال التي المت باول احتلال لمدينة بابل .

اهمية بلاد بابل للفرس

من بين الادلة الكثيرة التي ساعرضها عن قوة البابليين ومواردهم ، المعلومات التالية التي لها اهميتها الخاصة .

لقد تم تقسيم كل البلاد التي خضعت لحكم الفرس الى اقسام ، بالاضافة الى دفع جزية محددة عنها ؛ كما كان ينبغي لها ان توفر الطعام للملك ولجيشه في اجزاء مختلفة من ايام السنة .

فمن مجموع الاثني عشر شهرا التي تتالف منها السنة ، كان على منطقة بابل ان توفر الطعام خلال اربعة اشهر ، في حين توفره المناطق الاخرى في اسيا اثناء ثمانية شهور . ومن هذا يظهر ان بلاد اشور ، بالنسبة الى الموارد ، كانت تحتفظ بثلث موارد مجموع آسيا برمتها .

فمن بين كل الحكومات الفارسية ، او المرزبانيات كما يسمونها هكذا محليا ، كانت هذه المرزبانية من افضلها جميعا .

عندما تسلم «تريتا نتخميس بن ارطبازوس» مرزبانية بابل من الملك ، كانت هذه المرزبانية تغل له « ارطبة » واحدة من الفضة في كل يوم .

والارطبة Artaba مكيال فارسي يزيد بمقدار ثلاث حفنات عن الكيلة الاتينية .

كذلك كانت لديه ، ومما يعود الى اصطبله الخاص الى جانب خيول الحرب ، ثمانمائة حصان للتلقيح ، وست عشرة الف مهرة ، كل عشرين منها لحصان واحد . وما خلا ذلك كان يحتفظ بعدد وفير من كلاب الصيد الهندية الى درجة ان اربع قرى كبيرة في السهل قد اعفيت من كل الواجبات على ان توفر الطعام لهذه الكلاب .

على ان الامطار التي تسقط في بلاد اشور قليلة لكنها تكفي مع ذلك لانبات القمح ، اذ ينمو النبات بعد ذلك ويخرج سنابله بعد اروائه من ماء النهر . ذلك لان النهر ــ مثلما هو الامر في مصر ايضا ــ لا يغمر الاراضي التي تزرع قمحا حسب اثناء جريانه ؛ بل يوصل الى هذه الاراضي بالعمل اليدوي ، او بمساعدة الالات ، وان بلاد بابل كلها ، مثل بلاد مصر ، تخترقها القنوات ، وان اكبر هذه القنوات ، والتي تجرى باتجاه شمس الشتاء ، ولا يمكن عبورها الا بالزوارق ، تنقل المياه من نهر الفرات الى نهر ثان يدعى دجلة(٢٩) وهو النهر الذي قامت عليه مدينة نينوى قبلا .

لا يوجد بلد آخر من البلدان عرفناها ، غني بالقمح مثل بلاد آشور . والواقع انه ليس من قبيل الادعاء التحدث عن زراعة التين والزيتون والكروم او اية اشجار اخرى من اي نوع كان . لكن القمح وفير الى درجة انه يغل بصفة عامة مئتي ضعف ، بل يصل ــ حين يتعاظم الانتاج ــ الى ثلثمائة ضعف ، ذلك لان عرض سنبلة الحنطة والشعير يبلغ في الغالب اربعة اصابع .

اما عن الدخن والسمسم فلن اتحدث عن مدى الارتفاع الذي يبلغانه ، وان كان ذلك من بين

---

(٢٩) يقصد بهذه القناة نهر الملك او نلكا ، وهو نهر قديم كان معروفا لدى البابليين ، يتفرع من نهر الفرات جنوبي مدينة الانبار ثم يسير باتجاه الجنوب الشرقي فيصل الناحية الغربية من مدينة سلوقية (تل عمر قرب الدورة جنوبي بغداد) ثم يسير جنوبا حتى يصل الى مدينة الكوفة .

معلوماتي ، لانني لست اجهل ما سبق لي ان كتبته عن خصوبة بلاد بابل ، وذلك امر لابد ان يصدق به اولئك الذين لم يزوروا تلك البلاد .

يصنع الزيت الوحيد الذي يستعمله اهل البلاد من السمسم . اما النخيل فانها تنمو باعداد كبيرة في كل الاراضي المنبسطة ، ومعظمها من النوع الذي يحمل الثمار ، وهذه الثمار تزود الناس بالخبز ، والخمر ، والدبس(٤٠) .

وتزرع النخيل ، بين الاشجار الاخرى ، مثلما تزرع اشجار التين بكل مظاهرها .

ويربط اهل البلاد ثمار الذكور من النخيل ، كما يسميها الاغريقيون هكذا(٤١) ، الى اغصان النخلة التي تحمل التمر ، وذلك لكي يدعوا « ذبابة العفص »(٤٢) تدخل داخل التمر ؛ فتنضجه وتمنعه من السقوط . فالمعتاد ان تحتوي ذكور النخيل ، مثل اشجار التين البري ؛ على ذبابة عفص في ثمرتها .

على ان الشيء الذي اثار دهشتي بصفة اكثر في هذه البلاد بالاضافة الى المدينة ، هو ما سآتي على ذكره الآن . تكون القوارب التي تنحدر في النهر الى مدينة بابل مدورة ومصنوعة من الجلود، وتصنع اطاراتها من شجر الصفصاف الذي يؤتى به من بلاد ارمينيا شمالي بلاد اشور(٤٣) . وتغطى الالواح التي تصنع منها ابدان المراكب باغطية من جلود تمتد الى خارجها ، وبهذه الصورة تصنع الزوارق ؛ من دون سارية أو دفة ، مدورة اشبه بالترس تماما .

ومن ثم يجري ملؤها بالقش ، ثم توضع حمولتها على جنبها ، بعد ان تدفع بشدة لتطويقها في النهر .

والمادة التي تحملها هذه الزوارق بصفة رئيسة هي الخمور التي تخزن في اوعية تصنع من اخشاب النخيل وتدار هذه الزوارق من قبل رجلين ينتصبان عاليا في الزورق ، ويحرك كل واحد منهما مجدافا ؛ فالاول يدفعه والاخر يرده . والزوارق من احجام متباينة ، بعضها كبير والبعض الاخر صغير ، وتبلغ حمولة اكبرها حوالي خمسة الاف طالين . ويربط في جنب كل زورق حمار حي . اما التي تكون اكبر قلها اكثر من حمار واحد(٤٤) .

وعندما تصل الزوارق الى مدينة بابل ، يتم افراغ حمولتها ، وعرض هذه الحمولة للبيع ، وبعد ذلك يفك الرجال زوارقهم ، ويبيعون الاحطاب والاطارات ، ثم ينقلون الجلود على الحمير ، ويأخذون طريقهم عائدين الى بلاد ارمينيا، لان تيار الماء قوي لا يسمح للزورق بالسير عكس مجرى النهر(٤٥) ، وهذا هو السبب الذي جعل القوم يصنعون زوارقهم من الجلود وليس من الاخشاب . وبعد عودتهم الى ارمينيا يبدأون في صنع زوارق جديدة استعدادا لرحلة تالية .

لباس البابليين وازياؤهم

يتألف لباس البابليين من جلباب مصنوع من الكتان يهبط الى القدمين ، وفوقه جلباب اخر مصنوع من الصوف . وما عدا ذلك يرتدون فوق الجلبابين عباءة قصيرة بيضاء اللون ، وينتعلون احذية من زي خاص لا يختلف عن الاحذية التي يلبسها البيوتيون(٤٦) . وهم يطلقون شعورهم

---

(٤٠) يفهم من قول هيرودوت هنا ان الخبز كان يصنع من التمور وهذا امر غير مالوف لا في السابق ولا في اللاحق وربما قصد بذلك ان يعوض التمر عن الخبز في المآكل احيانا .

(٤١) يقصد بذلك الطلع الذي تلقح به النخيل .

(٤٢) هذا ما كان الاقدمون يعتقدونه من مادة الطلع التي تستعمل لتلقيح النخيل . ويبدو من كلام هيرودوت ان قومه الاغريقيين كانوا يعتقدون ذلك بالنسبة الى تلقيح النخيل .

(٤٣) ينصب الوصف هنا على القفف ، جمع قفة ، التي عرف استعمالها في بلاد الرافدين منذ العهد السومري ، وان كانت الزوارق الاعتيادية اكثر شيوعا في الاستعمال من القفف ، كما يلاحظ ذلك من الرسوم السومرية العديدة.

(٤٤) يبدو أن حمل الدواب في هذه الزوارق يقصد به توفير واسطة النقل البري بعد ايصال الحمولة في النهر الى الموقع الذي تقصده .

(٤٥) يشير هذا الوصف المسهب الذي ذكره هيرودوت الى ان هذه الزوارق هي الاكلاك او الارماث التي عرف صنعها سكان بلاد الرافدين منذ ذلك الوقت . وان ما كان يفعله اصحاب الزوارق حين يصلون الى بابل هو نفس ما كان يفعله اصحاب الاكلاك في العراق حتى الى عهد قريب ، حين كان النهر من وسائط النقل الرئيسة . فقد كان اصحاب الاكلاك الذين يهبطون من الموصل في نهر دجلة عادة ما ان يصلوا الى بغداد حتى يفرغوا الحمولة فيبيعونها الى اصحابها او يبيعونها ان كانت تعود لهم ، ثم يبيعون الاخشاب والاحطاب التي يصنع منها الكلك ويجمعون الجلود التي تنفخ بالهواء ليطفو الكلك عليها ، ويحملونها معهم عائدين الى اهليهم ولاستئناف رحلة جديدة مماثلة .

(٤٦) البيوتيون Beotians هم بقايا الاسرى الذين جاء بهم اخشويرش من اليونان الى فارس ، وقد اسكنهم المنطقة الواقعة شرقي « جيلان » وبمرور الزمن امتزج

طويلة ، ويعتمون بالعمائم ، ويضمخون اجسامهم بالطيوب .

ويحمل كل واحد منهم ختما وعصا نحت رأسها في شكل تفاحة ، او وردة ، او زنبقة ، او نسر ، او اي شيء اخر مماثل ، ذلك لانه ليس من عادتهم ان يحملوا العصى من دون حلية .

عوائد الزواج لدى البابليين

من عوائد البابليين التي ساتحدث عنها بعض الشيء ما يلي ، والذي علمت بانهم يشتركون فيه مع قبيلة « الليريان » التي تقطن بلاد « ايتي »(٤٧) وهذه العوائد اكثر حكمة في نظري .

ففي مناسبة واحدة في كل سنة تتجمع الفتيات اللائقات للزواج سوية في مكان واحد ، بينما يتجمع الرجال حولهن في شكل حلقة . واذ ذاك يقوم احد المنادين بدعوة العذارى واحدة بعد اخرى فيعرضهن للبيع . ويبدأ باكثرهن جمالا . حتى اذا ما بيعت هذه بثمن غير قليل ، عرض للبيع ثانية ممن تأتي بعدها في مستوى الجمال . فهؤلاء الفتيات يجري بيعهن ليصبحن زوجات(٤٨) .

ويتنافس اغنى البابليين الذين يبغون الخطوبة مع بعضهم البعض للفوز باجلى الفتيات ، اما من هم ادنى درجة ممن يبحثون عن زوجات لهم ، واللواتي لا يختلفن في جمالهن ، فانهم يشترون الاعتياديات من العذارى ببائنة الزواج .

والعادة الجارية هي ان المنادي بعد ان يكون قد انتهى من بيع كل ما لديه من الفتيات الجميلات ، يشرع بالمناداة على غير الجميلات ـ كان يصادف ان تكون احداهن عرجاء مثلا ـ واذ ذاك يعرض كل واحدة منهن على الرجال ، ويسألهم عمن يوافق على شرائها باقل بائنة للزواج ، ومن ثم تسلم الى الرجل الذي عرض لها اقل مبلغ .

وتزود بائنات الزواج في شكل نقود تعطى الى الفتيات الجميلات ، وهكذا تتفوق الجميلة على القبيحة بالبائنة . ولا يسمح لاي فرد ان يزوج ابنته الى رجل بمحض اختياره ، ولا يستطيع اي فرد ان يأخذ عذراء اشتراها دون ان يعطي ضمانا بانه سيجعلها زوجة له حقا ، وبصفة واقعية . فاذا حدث انهما لم يتفقا على ذلك تعاد النقود الى من دفعها .

يغد كل الراغبين في الزواج ، وحتى من قرى بعيدة ، لغرض خطوبة النساء . وقد كانت هذه العادة من افضل عوائدهم . غير ان هذه العادة غدت الآن مهملة . ذلك ان القوم لجأوا اخيرا الى خطة مغايرة جدا لانقاذ بناتهم من الظلم ، وللحيلولة دون انفصالهن عنهم ، وتقلهن الى مدن بعيدة ، الامر الذي ادى ببناتهم الى ان يصبحن من البغايا. وهذا هو ما يفعله كل الفقراء من عامة الشعب الذين اسيئت معاملتهم بعد الفتح الفارسي من قبل اسيادهم ، وما حل من خراب بعوائلهم .

الطب عند البابليين

وتبدو العادة التالية في نظري اكثر حكمة من شمائلهم التي اثنيت عليها مؤخرا . ليس لديهم اطباء . ولكن عندما يمرض امرؤ منهم يلقون به في ساحة عامة ومن ثم يقبل عليه المارة . فاذا كان هؤلاء قد اصيبوا بذات مرضه ، او عرفوا احدا اصيب به ، اسدوا اليه النصح ، واوصوه بان يفعل ما وجدوه حسنا بالنسبة الى قضيتهم ، او الى القضية المعروفة لديهم ، ولا يسمح لاي فرد ان يمر برجل مريض صامتا دون ان يسأله عن نوع مرضه .

وهم يضمخون جسد الميت بالعسل ، ولهم مناحات جنائزية تشبه ما هو موجود منها لدى المصريين .

وحين يكون البابلي مصحوبا بزوجته ، يجلس امام مبخرة فيها طيب محترق ، وتجلس هي قبالته . وعند انبلاج الفجر يغتسلان ، لانهما قبل ان يغتسلا ، لا يلمسان ايا من الادوات المعروفة لديهما . ومثل هذه العملية مطبقة لدى العرب ايضا .

وللبابليين عادة واحدة اكثر سماجة . ذلك ان اية امراة تولد في البلاد ينبغي لها ان تمضي

هؤلاء الاسرى بالفرس وذابوا بينهم وان ظلوا مع ذلك يحتفظون ببعض مميزاتهم اليونانية كاللغة والسحنة وبعض العادات غير المألوفة لدى الفرس .

(٤٧) قبيلة الليريين Illyrian هي جماعة « الر » الذين يسكنون المنطقة الممتدة على حدود العراق الشرقية الجنوبية من ايران اي منطقة لورستان الحالية اما بلاد ايتي Eneti فالمقصود بها هي بلاد الليبي Ellipi التي كانت تقع جنوبي بلاد مادي تماما وفي شمالي غربي عيلام .

(٤٨) قد يفهم من قول هيرودوت ان الفتيات يعرضن للبيع في سوق النخاسة وهذا غير صحيح ، وانما يتهيأ الشبان والفتيات للخطوبة في احد الاعياد فيتم بذلك الاختيار وتعقد الخطوبة وقد ورد تفصيل ذلك في كتاب « الحياة اليومية في بابل واشور » للبحاثة الفرنسي جورج كونتينو والذي ترجمناه واعددناه للنشر .

وتجلس امام حرم « فينوس »(٤٩) وهناك تصطحب احد الغرباء . وكثير من بنات الطبقة الموسرة اللواتي يتباهين بالاختلاط مع الآخرين ، يقصدن ذلك الحرم في عربات غير مكشوفة ، يتبعهن سيل من المرافقين ، حيث يتخذن مواقعهن هناك . ولكن العدد الاكبر منهن يجلس في فناء الحرم المقدس وقد عقدت ضفائر حول رؤوسهن ، حيث يتوفر هنا على الدوام حشد عظيم منهن ، بعضهن آتيات والبعض الاخر منصرفات . وتمد خطوط من الحبال تحدد السبل في كل الاتجاهات بين النساء الجالسات ، واذ ذاك يمر الغرباء بينهن لاختيار من يرغبون في اختياره . ولا يسمح للمرأة التي اتخذت مقعدها لاول مرة بالعودة الى منزلها ، الا بعد ان يلقى احد الغرباء بقطعة نقدية في حجرها ، وعندئذ يصطحبهامعه خارجالحرم المقدس. وحين يلقي الفتى عليها قطعة النقود يقول « لترعاك الآلهة ملتّا » ذلك أن الاشوريين يطلقون على فينوس اسم ملتّا(٥٠) .

وقد تكون القطعة الفضية من اي حجم كان ، ولا يمكن رفضها ، لان ذلك محظور بحكم القانون في ان تلقى على الفتاة حتى تصبح مقدسة .

وتذهب المرأة مع اول رجل يلقي اليها بالنقود ، وهي لا تصد احدا عن ذلك . وحينما تذهب معه ، وبهذا ترضي الالهة ، فانها تعود الى البيت ، ومنذ ذلك الوقت فصاعدا ، لا تحتفظ باية هدية معها مهما كانت كبيرة .

ويطلق سراح النساء الطويلات والجميلات من الحرم في الحال ، اما القبيحات فيمكثن وقتا اطول قبل ان يستطعن تطبيق احكام القانون ، بل ان البعض منهن يمضي في الانتظار في حرم المعبد مدة ثلاث او اربع سنين ، وهناك عادة مماثلة لهذه سارية المفعول في جزيرة قبرص .

ثورة بابل ضد الاحتلال الفارسي

يعود هيرودوت الى الحديث مرة اخرى عن العراق ، في الكتاب الثالث من تاريخه وذلك عندما يتعرض للبحث في ثورة اهل بابل ضد الاحتلال الفارسي .

كان دارا الاول (٥٢١ ـ ٤٨٦ ق. م) قد عين مكانه في منطقة ساحل آسيا الصغرى الجنرال « اوتانيس » ، واوكل اليه مهمة الاستيلاء على جزيرة ساموس التي قامت الثورة فيها . وحين توجه اوتانيس الى تلك الجزيرة استغل البابليون هذه الفرصة فاعلنوا الثورة ضد الحكم الفارسي ، وعن هذه الثورة يقول هيرودوت ما يلي :

« بعد ان ابحرت حملة اوتانيس الى ساموس ثار البابليون واتخذوا كل الاستعدادات للدفاع . ففي المدة التي كان فيها « ماغوس » ملكا(٥١) ، وفي الوقت الذي كان فيه الرجال السبعة يتآمرون ، استغل البابليون هذه الاضطرابات ، وهيأوا انفسهم لمواجهة الحصار . وحدث ان احدا لم يكن يعرف او يفكر فيما عسى ان يفعلوه . واخيرا وعندما حان وقت الثورة علانية ، اقدم البابليون على ما يلي :

تخلى الرجال اول الامر عن امهاتهم ، ومن ثم اختار كل واحد منهم من بين نساء عائلته امراة يرضاها ، حيث سمح لهؤلاء النسوة وحدهن بالعيش ، اما البقية فقد جيء بهن جميعا الى مكان واحد فقتلن فيه خنقا .

ولقد احتفظ بالنساء اللواتي تم اختيارهن لصنع الخبز للرجال . اما الاخريات فقد قتلن كيلا يستهلكن مخازن الطعام .

وحين وصلت الانباء الى دارا عما حدث ، سحب كل قواته ، وبدا الحرب بان سار الى بابل فدما ، وفرض الحصار عليها . واذ تسلق البابليون الشرفات التي كانت تتوج اسوارهم ، راحوا يشتمون دارا ، ويسخرون منه ومن جيشه القوي. ولم يلبث احد البابليين أن هتف برجال دارا قائلا : « لم تجلسون هنا ايها الفرس ؟ لم لا تعودون الى بلادكم ؟ انكم لن تستولوا على مدينتنا الا اذا انجبت البغال ! » لقد نطق بهذه العبارة احد البابليين الذين يعتقدون ان البغال لا تلد ابدا .

---

(٤٩) فينوس Venus الهة الجمال لدى الاغريق والمقصود بها هنا هي عشتار آلهة بابل الشهيرة والتي لم تقتصر عبادتها على البابليين وحدهم بل شملت الاشوريين والسوريين والفينيقيين حيث عرفت لديهم باسم عشتروت .

(٥٠) ملتا Mylitta الذي تعتقده ان هيرودوت قد اخطا في نقل التهجئة الصحيحة لاسم هذه الالهة . ويبدو لنا ان المقصود بذلك هو الاله « مردوخ » اكبر آلهة بابل واعظمها قدرا .

(٥١) ماغوس Magus يقصد هيرودوت بذلك احد المجوس المدعو « غوماتا » والذي استطاع ان يغتصب العرش بان ادعى بانه هو «برديا» شقيق «قمبيز» . وكان قمبيز قد غدر باخيه برديا ليستاثر وحده بالحكم ، حتى اذا ما ظهر غوماتا هذا بدعوته انه هو برديا وسمع قمبيز بذلك انتحر ، فتولى غوماتا العرش مكانه . فما كان من دارا ـ وهو من فرع بعيد من العائلة المالكة ـ الا ان استغل الوضع ودبر مؤامرة لاغتيال غوماتا مغتصب العرش وتولى الحكم مكانه .

بعد ان انقضت سنة وسبعة اشهر على الحصار ، حلت المصاعب بدارا وبجيشه تماما . وقد وجد الفرس ان ليس في مستطاعهم الاستيلاء على المدينة بأية صورة . فلقد تم استعمال كل الخطط والفنون الاخرى ، ومع ذلك لم يستطع الملك ان ينجح في ذلك ، بل حتى عندما حاول ان يستعمل الوسائل التي لجأ اليها كورش فاصبح بها سيد ذلك المكان . ذلك ان البابليين كانوا يراقبون الوضع بدقة ، ولهذا لم يجد الملك وسيلة ما لقهرهم .

واخيرا وفي الشهر العشرين من الحصار ، حدث امر عجيب « زوبيروس بن ميغابيزوس » ، احد الرجال السبعة الذين تغلبوا على الكاهن المجوسي غوماتا ذلك ان واحدة من بغلاته ولدت فلوا . وحين انبأ القوم زوبيروس بذلك لم يكن يظن ان هذا يمكن ان يقع حقيقة ، ولذلك مضى وشاهد الفلو بأم عينيه ، ومن ثم امر خدمه بان لا يتحدثوا الى اي انسان بما حدث ، بينما راح هو نفسه يمعن التفكير في هذه القضية .

واذ تذكر كلمات ذلك البابلي في بداية الحصار ، والتي قال فيها « الى ان تلد البغال فانكم لن تستولوا على مدينتنا » اعتقد ، حين راح يردد هذه المقولة ، ان في المستطاع الآن الاستيلاء على المدينة . لقد بدا لديه كان العناية الآلهية هي التي انطقت ذلك الرجل بتلك العبارة ، ومن ثم فقد ولدت بغلته فلوا .

واذ شعر بعد هذا حالا ان مصير بابل سيكون بالاستيلاء عليها ، ذهب الى دارا وسأله عما اذا كان يضع ثمنا غاليا لافتتاح المدينة . وحين وجد دارا يضع ثمنا غاليا لذلك في الواقع ، راح يحدث نفسه عن الطريقة التي يستطيع بها ان ينفذ هذه العملية بنفسه ؛ وان يكون هو الرجل الذي يفتتح مدينة بابل .

كانت اعمال النبلاء في بلاد فارس ، تحظى بمكافآت عالية ، وتجلب العظمة للقائمين بها . ولذلك راح زوبيروس يقلب النظر في كل الوسائل التي يستطيع بها الاستيلاء على المدينة ، لكنه كان يرى ان ليس في مقدوره تحقيق ذلك الا اذا شوه بدنه ، وانتقل بعد ذلك الى صفوف الاعادي .

لقد وجد ان اقدامه على ذلك يعتبر عملية بسيطة ، ولذلك شوه بدنه بطريقة لا علاج لها البتة ابدا . ذلك انه بعد ان جدع انفه واذنيه ، وشد شعره شدا وثيقا ، وضرب جسمه بالسياط ، وقف وهو في مثل هذه الحالة امام دارا .

استشاط الملك غيظا اذ راى رجلا من طبقته الرفيعة على مثل تلك الحال ، ولذلك هبط من عرشه وهو يتكلم بصوت عال ، ويسأل زوبيروس عمن شوهه على مثل تلك الشاكلة ، وما الذي فعله حتى يعامل بمثل هذه المعاملة . هنا رد عليه زوبيروس يقول « لا يوجد في العالم رجل سواك ايها الملك يستطيع ان يفعل بي مثل هذه الفعلة . لم تكن ايدي غريبة هي التي فعلت هذا بي ، لكنها يدي انا ليس الا . لقد شوهت نفسي بنفسي لانني لا استطيع ان اتحمل وانا ارى الاشوريين يسخرون من الفرس » . وهنا قال دارا « ايها الرجل البائس لقد الصقت اشنع صفة بانبل اسم متوقع عندما تقول بان التشويه هو اعظم معونة لنا في مواصلة الحصار . ايها الابله ! كيف سيحمل هذا التشويه العدو على الاستسلام بوقت اسرع ؟ لقد اضعت عقلك حقا حين اقدمت على تشويه نفسك بهذه الصفة » .

اجاب زوبيروس يقول « لقد انبأتك عما كنت اعتزم عمله ، وانك لن تعاني منه . فكما هو الامر فقد احتفظت انا برأيي الخاص ، ولسوف انجز خططي بنفسي ؛ فاذا لم يقع خطأ من ناحيتنا فاننا سنستولي على بابل .

سوف اهرب الى صفوف العدو بوضعي الحالي . وحين ادخل المدينة واخبر اهلها عما عاملتني به ، فانني اعتقد بانهم سيصدقونني ، ويثقون في قيادة قواتهم . اما انت فعليك من الناحية الاخرى ان تنتظر اليوم العاشر بعد دخولي الى المدينة ، فتقوم بوضع قوة من جيشك عند بوابة سميراميس ، قوة لن تهتم الا قليلا بفقدانها ، انها ليست اكثر من الف رجل ، وانتظر بعد ذلك سبعة ايام ، ثم ابعث لي بقوات اخرى مؤلفة من الفي رجل قوي تضعها عند بوابة نينوى ، ومن ثم دع عشرين يوما تمضي ، وعليك في ذلك اليوم ان تحشد على مقربة من البوابة الكلدانية قوة مؤلفة من اربعة آلاف رجل ، ولا تدع هذه القوات ولا تلك التي سبقتها تتسلح باي نوع من السلاح سوى السيوف ، فلا تترك لها غيرها .

وبعد ان تنقضي العشرون يوما اطلب الى جيشك ان يهاجم المدينة من كل جانب ، وضع لي قوتين من الفرس ، احداهما عند بوابة « بليان » . والثانية عند بوابة كيسيان ، لانني اتوقع اعتمادا على نجاحي بان البابليين سيثقون بي في كل شيء ويسلمونني حتى مفاتيح ابواب مدينتهم . وحينذاك سنكمل البقية انا ورجالي من الفرس » .

واذ ترك زوبيروس هذه التعليمات ، هرب متجها نحو ابواب المدينة ؛ وهو يتلفت الى الخلف

كيما يضفي على نفسه صفة الهارب . وما ان شاهده الرجال الذين كانوا فوق الابراج لمراقبة الحالة ، حتى اسرعوا بالهبوط ، وفتحوا احد الابواب بشكل موارب قليلا ، وسألوه عن هويته ، وعن الغاية التي جاء من اجلها .

ولقد رد عليهم بانه هو زوبيروس ، وانه قد هرب اليهم من الفرس . وعندما سمع البوابون اقواله ذهبوا به امام هيئة القضاة . وحين اصبح داخل مجمع القضاة شرع يندب حظه التعس ، وانباهم بان دارا قد عذبه بالشكل الذي يرونه فيه الآن ، لا لسبب الا لانه اسدى اليه النصيحة بضرورة رفع الحصار ، لانه لا امل له في الاستيلاء على المدينة .

وواصل حديثه قائلا « والآن فان قدومي اليكم ايها البابليون سوف يبرهن لكم على الظفر العظيم الذي ستظفرون به بيسر ، بينما سيكون افدح خسارة لدارا ، ولقومه الفرس . انني متأكد ان هذا الرجل الذي شوهني بهذه الصفة لن ينجو من العقاب . والواقع ان كل وسائل مستشاريه معروفة لدي » . على مثل هذه الشاكلة تحدث زوبيروس .

واذ راى البابليون رجلا فارسيا من مثل هذه الطبقة الرفيعة في مثل هذا الوضع المزري ، انفه مجدوع واذناه مقطوعتان ، وبدنه يحمل علامات الضرب بالسياط والدم ؛ لم يخالطهم ادنى ريب في صدق ما تحدث عنه ، وانه قد جاء اليهم ليكون فعلا صديقهم ومساعدهم ؛ ولذلك كانوا على استعداد لأن يمنحوه اي شيء يطلبه . وبناء على طلبه القيادة عهدوا اليه بقوة من الجند استطاع بمعونتها ان ينفذ ما رتبه مع دارا .

في اليوم العاشر لهربه قاد زوبيروس رجاله وقام بتطويق الالف رجل الذين ارسلهم دارا اول الامر حسب الاتفاق ، ثم انقض عليهم وابادهم جميعا .

واذ راى البابليون ان افعاله كانت جريئة مثل اقواله ؛ فقد سروا بذلك سرورا لا حد له ، ولم يدعوا اية حدود لثقتهم به .

ومع ذلك انتظر زوبيروس الى ان انتهت المدة الثانية التي اتفق عليها ، فسار قدما بفريق من رجاله المختارين وقضى على الالفي رجل الاخرين .

بعد هذه العملية التي قام بها اصبح الثناء عليه يجري على كل لسان ، ومع هذا فقد انتظر مرة اخرى الى ان انتهت الفترة المتفق عليها ، واذ ذاك قاد قواته الى المكان الذي عسكر فيه اربعة الاف رجل فاعمل فيهم السيف .

كان هذا الانتصار الاخير قد هيأ الضربة الاخيرة لقوته ، وجعله الكل في الكل بالنسبة الى البابليين ، وتبعا لذلك عهدوا اليه بقيادة جيشهم باكمله ، ووضعوا مفاتيح المدينة في يديه .

شرع دارا الذي بقي محافظا على الخطة التي اتفق عليها ، بمهاجمة اسوار بابل من كل جانب ، كيما يقوم زوبيروس بتنفيذ ما بقي من خطته . وفي الوقت الذي كان فيه البابليون المحتشدون عند الاسوار ، قد بذلوا كل ما في وسعهم لمقاومة الهجوم الفارسي ، اقدم زوبيروس على فتح بوابات كيسان وبليان وبذلك سمح للعدو بالدخول الى داخل المدينة ، وهكذا اضطر البابليون الذين شهدوا المؤامرة الى الالتجاء الى معبد « زحل بيلوس » اما البقية الذين لم يشهدوها فانهم بقوا في مواقعهم الى ان علموا ، فيما بعد ، بانه قد غدر بهم . بمثل هذه الوسيلة تم الاستيلاء على بابل للمرة الثانية .

وما ان اصبح دارا سيد الموقع ، حتى امر بتهديم الاسوار ، وتحطيم كل الابواب . اما بالنسبة الى كورش فانه لم يفعل من هذا شيئا عندما استولى على بابل .

ولقد اختار دارا حوالي ثلاثة الاف من المواطنين البارزين فصلبهم ، بينما سمح لبقية بسكنى المدينة . وفضلا عن ذلك اراد دارا ان يحول دون بقاء العنصر البابلي نقيا ، فعمد الى تزويد البابليين بالزوجات لكي يسد بذلك الفراغ الذي نشأ عن النساء اللواتي قتلهن البابليون لتوفير الطعام لهم كما اوضحت ذلك قبلا .

وقد اختار دارا هؤلاء الزوجات من الشعوب المتاخمة لبلاد بابل ، والتي كان كل شعب منها يطلب ارسال عدد كبير منهن الى بابل ، حيث تجمع مالا يقل عن خمسين الف امراة ، ومن هؤلاء النسوة ولد البابليون الموجودون في عصرنا هذا(٥٢) .

---

(٥٢) سقطت بابل بايدي الفرس سنة ٥٥٩ قبل الميلاد وقتل ملكها بيل شاحر كما اسر ابوه نبونيد ايضا وانتهى بذلك عهد المملكة البابلية الى الابد اذ بقيت البلاد بايدي الفرس الاخمينيين الى ان انتزعها منهم الاسكندر المقدوني سنة ٣٣١ ق. م .

اما قصة زوبيروس التي رواها هيرودوت فالمعروف انها حدثت في عهد كورش لا في عهد دارا وان صاحب المؤامرة كان يهوديا اسكر الجيش البابلي في ليلة عيد راس السنة ثم فتح الابواب للجيش الفارسي ولذلك كافا كورش اليهود في بابل بان سمح لهم بالعودة الى فلسطين .